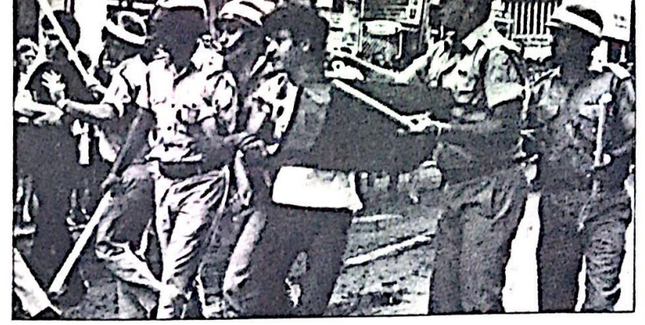

مقدمات لمزيد من الفهم لخريطة التناقضات في المجتمع الأسرائيلي

بقلم : بسّام زايد

في عام ١٩٤٨ بلغت نسبة اليهود الاوروبيين المهاجرين الى فلسطين ٨٠٪ من مجموع اليهود المهاجرين آنذاك . اما في عام ١٩٦٦ فلقد بلغت نسبة اليهود الشرقيين ٦٠٪ من مجموع المهاجرين الى فلسطين المحتلة وربما فسرت هذه النسبه العالية وما تخلقه من مشاكل وتناقضات داخل المجتمع الصهيوني ، تكالب السلطات الاسرائيلية في فلسطين المحتله والحركة الصهيونية العالمية على جلب مهاجرين جدد من يهود الاتحاد السوفياتي . ان مخطط الحركة الصهيونية للسنوات العشر القادمة هو ردم الهوه بين نسبه اليهود الشرقيين والغربيين بتهجير اكبر عدد ممكن من يهود الاتحاد السوفياتي خلال هذه الفترة . لذلك شنت اجهزة الاعلام التابعة للصهيونية العالمية والمؤيدة لها ولاسرائيل حملات واسعة شملت مساحات واطر واسعة من اجل الضغط على الاتحاد السوفياتي للسماح لليهود بالهجرة . هذه الهجرة التي ستشكل خطرا جديدا يضاف الى الاخطار الموجودة في حال سماح الاتحاد السوفياتي لهجرة جماعية من اراضيه لاسرائيل .

ازدياد حدّة التناقض بين الغربيين والشرقيين تتناسب طرديا مع ازدياد نسبة اليهود الشرقيين

ان اي محاولة لفهم خريطة التناقضات العنصرية في المجتمع الصهيوني يجب ان تتناول بالبحث قضية الهجرة وتطورها .

اعتمدت الحركة الصهيونية العالمية في بداية تنفيذ مخططها بالتحالف مع الاستعمار البريطاني والمعسكر الامبريالي على موجات واسعة من الهجرة شملت بالطبع اليهود الاوروبيين ثم بعضها « قانونيا » بفضل قرارات الانتداب البريطاني اما الجزء الاكبر منها فقد تم بمباركة حكومة « بريطانيا العظمى » وغض طرفها . بمكننا الان تسجيل ست موجات من الهجرة قبل عام ١٩٤٨ عليها قامت دعائم الكيان الصهيوني على ارض فلسطين انطلاقا لموجات اخرى تحقق حلم الحركة الصهيونية باقامة اسرائيل من الفرات الى النيل .

الموجة الاولى : ١٨٨٢ – ١٩٠٣

كان معظم افراد هذه الموجة الاولى من الطلاب والشباب الروسي والبولندين والرومانيين . ولقد سمي افراد الموجة بالطلائع . كان هدف الحركة الصهيونية من انتقائها لافراد الموجة الاولى ان تكون النواة الاولى فقد قادرة على مواجهة التحدي او العداء المتوقع من اهل البلاد . العرب .

الموجة الثانية ١٩٠٣ – ١٩١٨

على اثر نجاح الموجة الاولى بتثبيت اقدامها في بعض مناطق فلسطين بحماية الانتداب البريطاني وجيشه « الامبراطوري » عملت الحركة الصهيونية على ارسال موجة ثانية اختر افرادها من اليهود الروس الذين درسوا التجربة الاشتراكية – الوحدات الزراعية التعاونية – بهدف انشاء جيل من اليهود الزارعين . (علما بان اليهود نادرا ما عارسوا الزراعة) واوكلت الحركة الصهيونية لهؤلاء مهمة اقامة اول مستعمرات الحركة الصهيونية على ارض فلسطين . وبالفعل قام افراد الموجة الثانية ببناء اول كيبونس (داجانيا) في عام ١٩١٠ رغم مقاومة عرب فلسطين واحتجاجهم الشديد ومقاومتهم للمحاولة بالعنف لمعرفتهم ووعيهم ماذا تعني اقامة مثل هذه المستعمرات على ارض فلسطين .

الموجة الثالثة ١٩١٩ – ١٩٢٣

احضرت الموجة الثالثة من المهاجرين لاستيطان ارض فلسطين على اثر وعد بلفور الشهير ولقد تم احضار هذه الموجة تدريجيا على مدى خمس سنوات ولقد شملت هذه الموجة لاول مرة عناصر من اليهود الشرقيين ولكن بنسبة ضئيلة . اذ تشكلت الموجة الثالثة حسب النسب التالية :

٤٥٪ من اليهود الروس
٣٥٪ من اليهود البولنديين
٢٠٪ موزعة بين يهود اوروبا الغربية واليهود الشرقيين .

ولقد كلف افراد الموجة الثالثة من قبل الحركة الصهيونية العالمية بتاسيس الهستدروت . ولقد قام بهذه الموجة الثالثة بتاسيس الهستدروت عام ١٩٢٠ وانتخب بن غوريون سكرتيرا اول له في عام ١٩٢١ .

الموجة الرابعة ١٩٢٤ – ١٩٣١

كان معظم افراد هذه الموجة من البرجوازية الصغيرة الاوروبية والذين كانوا بعيدين شيئا عن الواقع الصهيوني والحماس له . قد كان دافعهم بعيدا عن الفكر الصهيوني « لو اتيح لهم في ذلك الوقت الهجرة للولايات المتحدة الامريكية لفعلوا ولكن الحركة الصهيونية لعبت دورا اساسيا في دفض هجرة هؤلاء الى الولايات المتحدة الامريكية » نتيجة لعدم الاستقرار الاقتصادي بدا صغار التجار اليهود يبحثون عن منفذ استقرار اقتصادي من اجل مزيد من جني الارباح . فتوجهوا بتخطيط من الحركة الصهيونية الى فلسطين . وتكونت هذه الموجة من اليهود الاوروبيين الغربيين ومن يهود روسيا وبولندا .

الموجة الخامسة : ١٩٣٢ – ١٩٣٨

تعاونت الحركة الصهيونية العالمية مع نازي المانيا من اجل تحريك اسدفعة الخامسة من المهاجرين الى فلسطين . فلقد خطط الحركة الصهيونية لحملات ارهاب وعمليات بطش بيهود بولندا ورومانيا باسم التذابة من اجل دفع يهود بولندا ورومانيا للهجرة . وبعد ان عانى اليهود في هذين البلدين من الارهاب والاضطهاد اغرقهم الحركة الصهيونية بالمشاريع الجميلة والاحلام عن « ارض الميعاد » وضرورة الهجرة اليها . وسهلت الحركة الصهيونية لهم سبيل الرحيل وكانت النتيجة دفعات الموجة الخامسة من الهجرة لفلسطين .

الموجة السادسة : ١٩٣٩ – ١٩٤٨

كانت الموجة السادسة من هجرة اليهود الى فلسطين هي الموجة الاخيرة قبل احتلال فلسطين وطرد مليون من سكانها بالقوة والارهاب وبتحالف الصهيونية والاستعمار البريطاني والمعسكر الامبريالي .

منذ اواخر الثلاثينات بدات الحركة الصهيونية تخطط لهذه الموجة كي تضم بقاياها « المعسكر » . اذ عملت جاهدة لانشاء معسكرات تدريب في بلدان اوروبا وخاصة في تشكوسلوفاكيا وذلك بالتعاون مع بعض العناصر القيادية في الاحزاب الصهيونية « والتي حوكمت فيما بعد وادعمت » من اجل التحضير لموجة هجرة تضم رجالا عسكريين ومدربين تدريبا جيدا . هذا بالاضافة الى كتائب اليهود التي حاربت في صفوف الجيش البريطاني ابان الحربين الاولى والثانية العالميتين العدد الاجمالي .

رغم العديد من قرارات منع الهجرة اليهودية الى فلسطين ورغم الاكداس الكثيرة على هذه القرارات فقد هاجر الى فلسطين خلال هذه الاعوام وخمس ست موجات مائة وثلاثة وخمسون الفا من اليهود . ان هذا يعني « حسب قرارات الحكومة البريطانية وتنفيذ الانتداب البريطاني في فلسطين هذه القرارات » ان ثلثي هؤلاء كانوا مواجدين على ارض فلسطين بشكل « غير قانوني » . ان هذا يفضح دون اي مجال للشك دور بريطانيا الاستعماري وبقي تماما مزاعم الحركة الصهيونية واسرائيل حول « الحرب التي خاضوها ضد الاستعمار البريطاني او الجيش البريطاني » .

اما بالنسبة لجنسيات المهاجرين اليهود فلقد بلغت نسبتهم في عام ١٩٤٨ كالتالي :

الدولة	النسبة المائوية
بولندا	٢٥
رومانيا	١٩
المانيا	١٢
تشيكوسلوفاكيا	٩
هنغاريا	٦
دول اوروبا الغربية الاخرى	٨
الدول العربية والولايات المتحدة	١٠

لقد زودت الموجات الثلاث من الهجرة « ١٨٨٢ – ١٩٢٣ » الدولة الصهيونية بمعظم زعمائها الاول والذي لا زال بعضهم يلعب دورا بارزا واساسيا في رسم سياسة ومخططات اسرائيل التوسعية العاكسة في اسرائيل (الصهاينة الغربيين) مبنى على ملا مراكز السلطة والقوة باسناء طبقتهم . تبلغ نسبة اليهود الشرقيين التي تتاح لهم فرص العمل ٢٣٪ ولا تتاح هذه الفرص على مدار السنة بل لجزء موسمي من السنة . اذ يبلغ معدل حياة العمل لدى اليهودي الشرقي (عبر الفرص المتاحة له) سنتين ونصف السنة بينما تبلغ لدى اليهودي الغربي اربع سنوات ونصف السنة كما ان فرص العمل هذه هي على المستوى الادنى وليس على المستويات العليا .

اما بالنسبة للوظائف والاعمال التي يسمح للشرقي بان يشغلها فهي ذات طبيعة غير ثابتة . يعمل معظم الموظفين من اليهود الشرقيين (وتبلغ نسبتهم ٥٦٠٧ من اليهود الشرقيين) في الصناعة والزراعة وورشات البناء . اي اعمال مياومة وعمال صناعيين . بينما يعمل ٤٢٪ من اليهود الغربيين في هذه المجالات (١) .

اما بالنسبة للمهن الحرة والتكنيكية والمؤسسات العامة فالارقام تظهر بوضوح التمييز والفرقة بين اليهود الغربيين واليهود الشرقيين (٢) .

ان ٥٠٤٪ من المسؤولين ذي الرتب العالية في الدوائر والمؤسسات هم من اليهود الشرقيين بينما ٩٤٠٦ منهم ينتمون لليهود الغربيين .

تبلغ نسبة اليهود الشرقيين العاملين في المجالات التكنيكية (اطباء – معلمين – صحافيين الخ ..) ٢١٪ من مجموع العاملين في هذه المجالات .

وكنتيجة حتمية لهذه الفرقة في فرص العمل والتمييز في قدرة الوصول الى الرتب العليا برز الفرق الشاسع بين مستوى دخل الفرد من اليهود الغربيين .

في مجالات التعليم :

سحبت الفرقة التي تمارسها الصهيونية الغربية المسيدة نفسها على مجال التعليم ايضا . دون المحافظة على الفارق الشاسع في مستوى العدم العلمي والثقني التي يملكها اليهود الغربيون هو حجر الاساس في قدرة اليهود الغربيين على الاستمرار في استغلالهم لليهود الشرقيين .

ان الارقام المعتمدة في هذا المجال هي بناء على احصائيات عام ١٩٦١ بلغت نسبة الشرقيين من الطلبة (المسجلين) في السنة الاولى الابتدائية ٥٥٪ من المجموع . ويندرج هؤلاء في السنين الابتدائية المدرسية تصل نسبة الشرقيين في السنة الابتدائية الهائية (قبل التخرج من الابتدائية) الى ٤٠٪ اما الذين استطاعوا التخرج بشهادة الابتدائية الحكومية فلقد بلغت نسبتهم ٢٧٪ فقط من مجموع المتخرجين . اي ان من اصل كل مئة طالب شرقي يدخلون الصف الاول الابتدائي يتخرج ٥ فقط اما الخمسة والخمسون الباقين فيساقون الى الجيش او يتسولون في الشوارع.

كلما ارتقت مرحلة الدراسة تتناقص نسبة اليهود الشرقيين . اذا سجل في السنة الاولى الثانوية يهود شرقيون شكلوا ٢٥٪ فقط من مجموع المسجلين . وهذا يعني ان ٢٪ من الذين حصلوا على الشهادة الابتدائية يضطرون للعمل الرخيص من اجل اعالة اهلهم او اخوتهم او عائلاتهم ذات الحجم الكبير . وتبلغ نسبة الحاصلين على الشهادة الثانوية ١٢٪ فقط . اي ان ٥٢ طالبا من اصل كل مائه من الشرقيين يحصلون على الشهادة الثانوية .

اما نسبة المقبولين في المعاهد العليا والجامعات من اليهود الشرقيين فتبلغ ٥٪ لا يخرج منهم بالشهادة الجامعية اكثر من ثلاثة بالمائة لا تاح لهم الفرصة فيما بعد تبلغ الدرجات في سلم الوظائف الهامة .

الموجة القادمة : يهود الاتحاد السوفياتي

بازدياد نسبة اليهود الشرقيين يزداد تمسك اليهود الغربيين الذين اصبحوا يشكلون القسم الاقل من يهود اسرائيل ، بمراكز القوة والسيطرة وتزداد اساليبهم في فرض ذلك فاشية . وبروز تيار منظم معاد لهذا التمييز بين صفوف اليهود الشرقيين ازدادت فاشية النظام . ومن ناحية اخرى بدات الحركة الصهيونية العالمية تنفيذ مخططها الرامي الى بذل الضغوط من جميع الاطراف داخل وخارج الاتحاد السوفياتي على الحكومة السوفياتية من اجل فتح المجال امام هجرة لليهود السوفيات جماعية . والملاحظ ان اجهزة الاعلام الاسرائيلية والصهيونية تبرز بخطوط عريضة هجرة اعداد من يهود الاتحاد السوفياتي الى اسرائيل لاهداف عديدة اهمها حث يهود الاتحاد السوفياتي لبذل مزيد من الضغط على الحكومة للسماح لهم بالهجرة الى اسرائيل .

ان معالجة هذا الموضوع تتطلب موضوعية المعالجة وكذلك جرائها . فقد يفهم من معالجة الموضوع نهجم على الاتحاد السوفياتي ولكن معالجته هي بالضبط نتيجة الحرص على تدعيم التحالف القائم بين العرب والسوفيات . ان الواجب يفرض علينا ان ننتقد حلفاءنا حيث يكون الانتقاد لمصلحة التحالف . اذ ان اسلوب السكوت وغض الطرف في مثل هذه الحالات سيؤدي بالنهاية الى تعطيل هذا التحالف .

ان الانحراف عند المفهوم الماركسي للمسالة اليهودية وموقف لينين الواضح معاداته للصهيونية كحركة رجعية عنصرية مرتبطة بالامبريالية مرتبط بالسماح ليهود الاتحاد السوفياتي بالهجرة الى فلسطين المحتلة .

لقد لاذ العرب بالصمت ازاء سماح يولندا بهجرة اليهود منها في اعقاب اضراب ١٩٦٨ التي حرضها الحركة الصهيونية تماما من اجل الوصول الى هذا الهدف . كما لاذ العرب بالصمت ازاء رومانيا وسماحها لهجرة اليهود منها الى فلسطين .

ان هناك حقيقة قائمه وهي ان الاتحاد السوفياتي يسمح لليهود بالهجرة الى فلسطين ولكن ليس على اساس الهجرة الجماعية . ولن ناخذ في معالجتنا لهذا الموضوع المصادر الامبريالية مثل نيويورك تايمس او الاسرائيلية الرسمية – والتي نشرت ارقاما ضخمة لمهاجرين من الاتحاد السوفياتي في الفترة الاخيرة الممتدة من ١٩٦٨ – ١٩٧١ – ولكن المصادر المقدمة اعترف عدة مرات بهذا الموضوع .

ان هجرة اليهود من الاتحاد السوفياتي حقيقة وليس صحيحا ان الهجرة محصورة على النشوح والعجزة ولقد اعلنت الحكومة السوفياتية بشخص رئيسها كوسيغين ان القوانين السوفياتية تسمح بهجرة كل مواطن ضمن برنامج جمع شمل العائلات .

ان بين المهاجرين الكثير من الشباب والشابات وهم ذوي تخصصات علمية وتقنية . ولقد سمح لعائلات بكاملها بالهجرة . فلقد ذكرت البرافدا رغم الصمت الذي احيط به موضوع الهجرة من الاتحاد السوفياتي في عددها الصادر بتاريخ ١٩٧١/٢/٢٧ في تعليق لمعلم فيكتور مايفسكي :

((تنشر مطبوعات ونعلو اصوات مختلفة باقتراءات حول وضع اليهود في الاتحاد السوفياتي وتذرف دموع التماسيح على عدم السماح لهم بالهجرة الى « ارض الميعاد » بالرغم من انه لا يخفى على احد بان بعض الذين ابدوا رغبتهم بذلك لم يسافروا الى اسرائيل فحسب بل عادوا منها بعد ان تجرعوا الالم في «جنة الصهيونية»))

ولكن على اثر زيارة رئيس وزراء كندا للاتحاد السوفياتي واعلانه حول الاتفاق القاضي حول مشكلة الهجرة اليهودية بدات الاجهزة الصهيونية تعلن عن وصول دفعات من المهاجرين من الاتحاد السوفياتي فولدت بعصب من قبل الاجهزة السوفياتية .

ان عملا كالسماح بالهجرة اليهودية من الاتحاد السوفياتي لفلسطين سيساعد على المدى البعيد عملية استغلال ارض – شبه فلسطين – سيوجه طعن للتحالف القائم بين الاتحاد السوفياتي ولونه الكبرى وبين الشعب العربي . اننا نخشى ان يكون السماح هذا والذي يتناقض مع الموقف اللينني من الصهيونية العالمية، لقمة في طريق تحالفنا في المستقبل .

كلمة (نقية) اطلقها القلائد العرب او تلاميذ من ابناء المهاجرين الغربيين من اليهود ثم اطلقت على كل من ولد على ارض فلسطين من اليهود . ويعود اصلها الى ان ابناء اليهود الغربيين كانوا متفوقين في الدراسة على ابناء اليهود الشرقيين مما حدا بهؤلاء على تحديهم لقطف ثمرة التميز بالاشتراك . وذلك للتعويض عن شعورهم بالنقص ازاء المتفوقين من ابناء اليهود الغربيين . وكانوا يطلقون لهم تلك صيرة العربية .

١ – تلقي هذه السنة سنويا على احد اسلف الاحصائيات العمالية والتي بلغت حدا كبيرا هذا العام . وجاءت اسرائيل في الترتيب الثاني في العالم بنسبة اضرابات عمالها (الاذاعة العبرية – الساعة ١١ – ٧١/١١/٢٩) .

٢ – ليس المجال هنا مجال بحث حالة وضع الفرد داخل اسرائيل ولكن اوضاعهم هي اسوأ بدرجات من اوضاع اليهود الشرقيين بسبب التفرقة العنصرية الصعبة ضدهم .